
العميان الثلاثة
دار الأندلس

الطبعة الثانية

١٩٨١م

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف : ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب : ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣

طرائف القصص

العُميانُ الثلاثةُ

قصة : علي طاهر شهاب
رُسوم : نيازي جلول



دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

العميان الثلاثة

سلمانُ ، مروانُ وفُلَيحانُ ، ثلاثةُ عُميان جمعَ الدّهرُ بينَهُم ، فراحُوا يستَجْدُونَ أكُفَّ المُحسنِينَ ، ويَطُوفُونَ الأزِقَّةَ والطُرُقَات ، حتَّى إذَا ما أقبَلَ المَساءُ ، عادَ كلٌّ مِنهُم إلى كوخٍ خشَبيٍّ مَهْجُورٍ يقَعُ خارِجَ المدينَةِ ، اتَّخذُوه مأْوًى لهُم .

وكانُوا يجْتَمِعونَ مَساءً ، فيُفرِغُ كُلٌّ واحدٍ مِنهُم ما جَمَعَهُ مِن دراهِمَ طيلَةَ النهَار ، وكانَ (الشيخُ فُلَيحَانُ) أميناً للصُندوقِ ، وعليهِ أنْ يعُدَّ المالَ ، ثمَّ يَضعَهُ في جرابٍ من جلْدِ الماعزِ .

وأخيراً يأخُذُ هذَا الجرابَ ، ويَطمُرُهُ في حُفرةٍ خاصةٍ تَقَعُ في زَاوِيَةٍ من زَوَايَا الكُوخ .

وهكذا مرّت الأيَّامُ والسنُونُ ، والعُميانُ الثلاثَةُ يشحذونَ ويجمَعُونَ الأموالَ في جرابِهم الكبيرِ حتى أوشكَ على الامتِلاء .

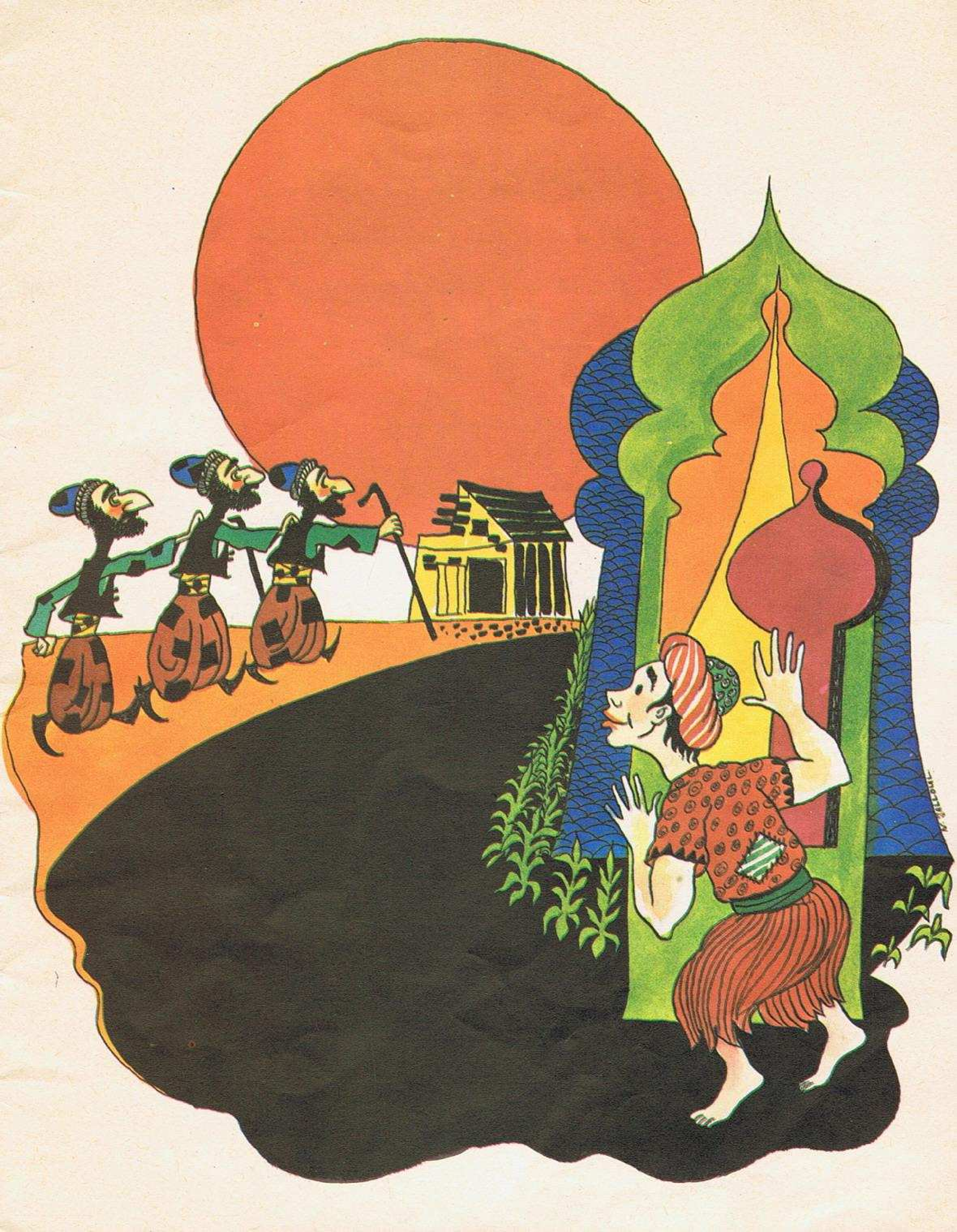
كان (مرزوقُ) شاباً أُمّياً لا يَعرفُ القراءَةَ والكِتابَةَ . عَاشَ مُتشرِّداً بعدَ أن فَقَدَ والدَيْهِ ، فتراهُ نائماً تحتَ جسرٍ ، أو شجرَةٍ ، أو على رصيفِ الشارعِ ، يقتاتُ بما يَحْصُلُ عليهِ من أجرٍ ضَئيلٍ ينالُهُ عن أَتعَابٍ يُؤَديهَا لأَصحابِ المتاجِرِ والحوانيت .

وكانَ في مساءِ كل يومٍ يَلتَقِي بالعُميانِ الثلاثَةِ ، ويَرَاهُم يدخُلونَ الكوخَ الواحِدَ تِلْوَ الآخرِ .

كانَ يَعجَبُ من هؤلاءِ ، ويقولُ في نَفْسِهِ :

تُرى أينَ يُخَبِّئُونَ الأموالَ التي يجْمَعُونَهَا ؟ واللهِ لأقصُدَنَّهم في يومٍ منَ الأَيَّامِ لأرَى مَاذَا يَصنَعُونَ عِندَمَا يلِجُونَ « يدخلون » كوخَهُم .

ظَلَّتْ هذهِ الفِكْرَةُ لاَ تُفَارِقُهُ ليلَ نهار ، وبينما هو عَائدٌ من عَملِهِ ذاتَ مَسَاء ، شَاهَدَ العُميانَ الثلاثَةَ يتّجهُونَ نحوَ الكوخِ . وهُنَا أسرَعَ في سيرِهِ وسَبَقَهُم إليهِ ، ففتحَ البَابَ ودَخلَ ثُمَّ أغلقَهُ وَراءَهُ ، واختبَأَ في إحدَى الزَّوَايا .



قَدِمَ العُميانُ الثلاثةُ وعِصيُّهُم في أَيْدِيهِم ، فلما بَلَغُوا الكُوخَ فَتَحُوا بابَه ودَخَلوا الوَاحِدَ تلوَ الآخَر .

هذا وصَاحِبُنَا (مرزوق) قابعٌ في زاويتِهِ لا يأْتِي بأيِّ حَرَكة ، يلاحِظُ من مخبئِهِ كيفَ بَدَأوا بتفريغِ ما في جُيُوبِهِم ، ثم كيفَ أَخَذَ (الشيخ فُليحانُ) يَعُدُّ المالَ ، إلى أن رآهُ يَربطُ الجِرَابَ ويأخُذُه الى الحُفرَةِ ويَطْمرُه .

ثم رأى العُميَانَ الثلاثَةَ يُقبلونَ على طَعَامِهِم ، فيأكلونَ ، ويَمْرَحونَ ، ويَضْحكونَ ، إلى أن عَمَّتِ الكوخَ ضَوضَاءُ « ضَجيجٌ » رأى (مرزُوقُ) معَهَا أَن الفُرصَةَ مواتيةٌ ، فترَكَ مكانَهُ وتَقَدَّمَ منَ الحُفْرةِ يُزيلُ التُّرابَ عَنْهَا بهدوءٍ ، ثُمَّ يحمِلُ الجِرابَ ويخرُجُ بِهِ دونَ أن تصدُرَ عنْهُ حركَةٌ تَسْتَرْعي انتباهَ العُميان .

قامَ العُميانُ الثلاثةُ في الصباحِ باكراً حَسبَ عادَتِهِم ، فَقَصدُوا المدينَةَ يطُوفُونَ أَحياءَهَا ويَسْتَجْدُون أكُفَّ المَارَّةِ ، فلمَّا أَقبَلَ المسَاءُ ، عَادُوا إلى كُوخِهِم ، وأَفْرَغُوا مَا في جُيُوبِهِم من مالٍ .

وهُنَا جَاءَ دورُ (الشيخ فليحان) الـذي بعـدَ أَن عَدَّ ما جُـمِعَ مِنْه ، حَمَلَهُ ليضعَـهُ في الجـرابِ ، ولكنـهُ وجَـدَ الحُفْـرَةَ خاليةً ، وقد كُشِفَ عَنْهَا التُّرَاب .

أَخَذَ (الشَّيْخُ فُليحَانُ) يَضرِبُ رأسَهُ بيَدَيْهِ ، ويَصيحُ : يا خَرَابَ بَيْتِنَا ، ويَا لَشَقَائنَا وتَعَاستِنَا ، الجِرَابُ مَفْقـودٌ أَيُّـهَا الإِخوانُ فمَنِ الذِي أَخَذَهُ ؟

راحَ كلُّ واحدٍ منهُم يتَّهـمُ الآخَـرَ ، فبَـدَأُوا بالمُشَاجَـرةِ أولاً ، ثم بالمُضَارَبَةِ ، إلى أن كَلَّتْ « تَعِبَتْ » مِنهُمُ السَّواعِدُ ، وتكَسَّرَت العِصِيُّ فسقَطوا على الأَرضِ كأَنَّـهُم أموات .

بعدَ بُرهَةٍ من الوقتِ ، رَفعَ (الشيخ مروان) رأسَـهُ ، وقالَ بصَوْتٍ ضَعيفٍ : يا إخوتي :

لماذا نتشاجَرُ ونتقَاتلُ ؟ أَلَيسَ بينَنَا عاقلٌ يقولُ ، رُبَّمَا كانَ أحدُ اللُّصوصِ قدْ دَخـلَ كُوخَنَـا أثنـاءَ غيَابنَـا واستـولىَ على الجِراب الذي كَانَ أَمَلَنَا الـوحيدَ ، والآن ماذَا باستِطَاعَتِنَـا أن نَفعَلَ ؟ هذِهِ إرادةُ الله .

أما (مرزوقُ) الذي أَصبَحَ الآن من الأَغْنِيَاءِ ، فقد شَيَّدَ لَهُ بَيْتاً يُضَاهِي بُيُوتَ عُظَماءِ المدينـةِ ، وتـزوَّجَ من امـرأةٍ فاضِلَـةٍ حَسَنَـةِ الخَلْـقِ والخُلُـقِ ، وهبَتْـهُ الكثيـرَ من صفَاتِهَـا الطَّيِّبَةِ ، حتى أَصبَحَ له في المجتمعِ مركزٌ مَرْمُوقٌ ، كما أَصبَحَ من أكبَرِ تجارِ المدينَـةِ وأشهَرِهِـم . ولكنَّـهُ ، مع كلِّ هَذَا كانَ يشعُرُ بوَخْزِ الضَّميرِ ، وكثيراً ما كانَ يَقْضِي اللَّيْلَ ساهراً يُفَكِّرُ بجرِيمَتِهِ التي ارتكَبَهَا نحوَ أولئكَ العميانِ المساكين . وأَخيراً قرَّ رأيُهُ على إِخْبارِ زَوجَتِه بكُلِّ ما حَدَثَ ، لَعَلَّهُ يجدُ عِندَهَا ما يُعيدُ إليهِ الاطمئنانَ وراحةَ الضَّمِيرِ .

فلـمَّـا كاشَفَهَا بالأمرِ ، غَضِبَتْ ، واسْتَنْكَرَتْ ما فَعَلَهُ ، وقالت : إذاً ، فالجِرابُ الذِي ما زلتَ تحتفِظُ بِهِ إلى اليومِ ، كانَ لأولئِكَ المَسَاكين ؟

قالَ : أَجَلْ ، هَذَا هوَ الجِـرابُ اللَّعِـينُ ، الـذي لولاهُ لعِشتُ العُمرَ قريرَ العينِ مُنشرِحَ الخاطِرِ .

قالت المرأَةُ الفاضِلَةُ :

اسمَعْ يا (مرزوقُ) ، علَيكَ أن تذهَبَ إِليهم اليومَ ، وتَدْعُوهُم إلى وليمةٍ نُقيمُها لهم في دارِنا مَساءَ الغَدِ .

وهُنَا قاطَعَها (مَرزوقُ) ، قائلاً :

إن الأَمرَ لن يَتَوَقَّفَ عند هَذَا الحَدِّ ، بَلْ إنني قَرَّرْتُ أَن أُؤَمِّنَ لَهُم المسكَنَ ، والمأكَلَ ، والمَلْبسَ ، وأن أُوقِفَ لَهُم مَنْ يقُومُ على خِدْمَتِهم طِيلةَ حَياتِهم .

قالت امرأَتُهُ : حَسَناً تفعل !

ولما حانَ موعِدُ عَوْدَةِ العميانِ في المساءِ ، غادَرَ (مرزوقُ) البيتَ وظَلَّ سائراً حتَّى بَلَغَ الكوخَ ، فلمَّا دَخَلَ عليهِم ألقَى التحيَّةَ فَرَدُّوا بأَحْسَنَ منهَا ، وسأَلَ أحدُهُمْ مَنْ يكُونُ الزائرُ الكَريم ؟

قال : التاجرُ (مرزوق) .

عندَهَا وَقَفَ الجميعُ إجلالاً لَهُ ، وقالُوا : وَمَن لا يَعرفُ التاجِرَ (مرزوق) ؟ أهلاً بالرَجُلِ الكريمِ ، الذي شَرَّفَ هَذا المنزِلَ الحَقيرَ ، فَأَيُّ خِدمَةٍ يطلبُ مولاَنَا ؟

قال : إني جئت خِصِّيصاً لأدْعُوكُم إلى بَيْتِي مسَاءَ الغَدِ فَنَتَنَاوَلَ طعَامَ العَشَاءِ سَوِيَّةً ، فهل تُوافقُون ؟

قَالُوا : ومَن يَرْفُضُ دَعْوَةَ الرجلِ الكَريمِ ؟



في مساءِ اليوم التَّالي ، حضرَ العميانُ الثلاثَةُ في الوقت المحدَّدِ لهُم ، فلمَّا جَلَسوا إلى المائِدةِ ، أراد (مرزوق) أن يَرى ما إذَا كانُوا يَعرِفُونَ الجرابَ إذَا لَمَسُوهُ ، بل ما هي المشاعِرُ التي ستَبْدُو عليهِم آنذَاكَ . وعندَمَا جاءَ بالجراب ووضَعَهُ أمامَهُم ، انحنَى العميانُ الثلاثَةُ عَلَيهِ يَسْتَنْشِقُونَهُ ثُمَّ أسلمُوا الروحَ !

ذُهِلَ (مرزوقُ) ممَّا رأى ، فنادى امرأَتَهُ بصَوتٍ مختَنِقٍ وقال : أَسرعي يا (ليلى) ، تعالي وانظُري مَاذا جرَى !

فلما دخلتْ ورأت العميانَ لا حَراكَ بهم ، وهُم مُنكَبُّونَ على الجِرابِ ، تأكَّدَ لَهَا مَوتُهم ، وقد أصبَحَت أجسامُهم باردةً كالثلجِ .

قال (مرزوق) : ماذَا باستطاعتِنَا أَنْ نَفعلَ الآنَ ، وفي هذَا الليل ؟

قالت : لا عليكَ ، دعِ الأمرَ لي ، فأنا أعرفُ ما يجبُ أَن أعملَ ، وكلُّ ما أَطلبُ منكَ الآن ، هو أن تَضَعَ جُثَّةَ كُلِّ واحدٍ منهم في غرفةٍ مُنْفصِلَةٍ عَنِ الأُخْرَى وعَلَيَّ البَاقِي .

نَزَلَتْ زَوجَةُ (مرزوق) إلى كوخِ البُستَاني ، ونادَتْ : منصور ! فهبَّ هَذا مِنْ رُقادِهِ وفتَحَ النَافِذَةَ الصَّغِيرَةَ وقَال : بماذا تَأمُرُ مَوْلاتِي !؟

قالت : إرتَدِ ثيابكَ واتْبَعْنِي إلى الطَابقِ الأعلى .

فلما صَعِدَ إليهَا ، قَالتْ : اسمَعْ يَا (منصور) !

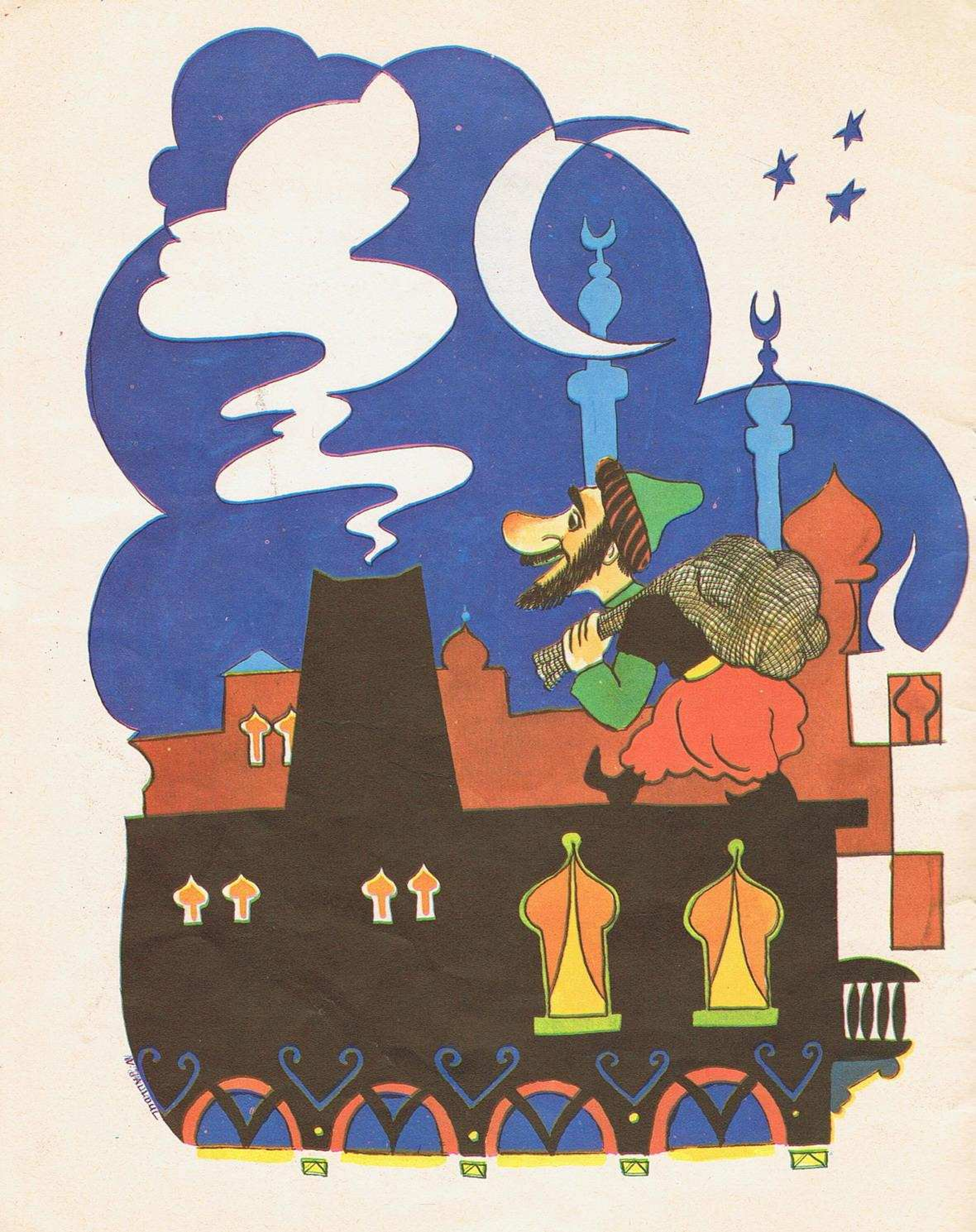
دَخَلْتُ الليلةَ إلى هذهِ الغُرفَةِ ، فَوجَدْتُ فيها رجلاً أعمى وقد فارقَتْهُ الرُّوحُ ، أَماكيفَ وَصَلَ إلى هُنا ، فلاَ أحَدَ يدري . وَالأَمرُ الذي يُثِيرُ قَلَقَنَا ، وخَوفَنَا ، هو أَنَّ زَوجِي أَرسَلَ إلينا رَجُلاً حملَ الجُثَّةَ وقامَ بدَفْنِهَا خارِجَ المدِينَةِ ثم عادَ وقَبضَ الأجرَ المتَّفَق عليه .

وَتَابَعَتْ زوجةُ (مرزوق) :

على أنَّ الأمرَ لم يَنْتَهِ عِندَ هَذا الحَدِّ . إذْ إنَّنِي عِندَمَا فتحتُ بَابَ الغُرفَةِ ، وجَدْتُ جُثَّةَ الأَعْمَى قَد عَادَت إليهَا !

فَغَرَ (منصور) فاهُ وقال : يا سيِّدتي وهَل المَوْتَى يَرجعُون ؟! ومعَ ذلِكَ سآخُذُهُ إلى مكانٍ بعيدٍ ، وأدفُنُه بيَدَيَّ ،





وستَرينَ أنه لَنْ يرجعَ أبداً ، وانقضَّ على الجُثَّةِ فحملَهَا على ظهرِهِ ، فلمَّا خرَجَ مِنَ الدَّارِ ، قَصَدَ كُوخَهُ فأَخَذَ مِعْولاً ومجْرَفَةً ، ومضَى في مُهمَّتِهِ . فلمَّا عادَ ، قالَ : يا سيِّدَتِي لقد انتَهَى كُلّ شيءٍ ، وصَاحِبُنا لَنْ يعُودَ أبداً .

قالَت : مَنْ يدرِي ؟ تَعالَ لنَرَى ، ثُمَّ فتحَت الغُرفَة الثانية ، وتراجَعَتْ إلى الخَلْفِ مَذْعُورَةً وقالت :

يَا (منصور) تعالَ وانظُرْ !

تقدَّمَ (منصور) مِن الباب ، وقَال : لقَدْ عادَ الخَبيثُ حَقاً ، واللهِ لآخُذَنَّهُ إلى مكانٍ بعيدٍ لَنْ يَرجعَ مِنهُ أَبداً ، ثم حَمَل الجُثَّةَ وخَرَج بهَا مُسرِعاً إلى مكانٍ يَبْعُدُ كَثيراً عَنِ الأوَّلِ . فلمَّا انتهَى مِنْ دَفْنِهَا عادَ إلى مَولاتِهِ وقَال :

لقد كفَيْتكُم شرَّهُ هذِهِ المرَّةَ ، ودَفَنتُهُ في مكانٍ بعيدٍ وعَميق . قالت : أَرجُو أنْ يَصْدُقَ ظَنُّكَ ، ولكِن تعالَ لنرَى ، وتقدَّمَتْ مِنَ الغُرفَةِ الثالِثَةِ ، فلمَّا فَتحَتْ بابهَا ، شَهَقَتْ ، وقالت لمنصور : ماذا تَرَى ؟

قالَ : يا إلهي لقَدْ عادَ ، ثُمَّ أَسْرَعَ وحَمَلَ الجُثَّةَ ، وقَال :

أُقسِمُ لَكِ يا سَيِّدَتي بأَنَّهُ لَنْ يَعُودَ هَذِهِ المرَّةَ ، وسَتَرين !

كانَ الفَجْرُ يُرْسِلُ أَوَّلَ خيُوطِهِ ، عِندَمَا شَاهَدَ (منصورُ) الدُّخَانَ يتصَاعَدُ مِنْ مِدْخَنَةِ أحَدِ حَمَّامَاتِ المدينة ، فَقَصَدَ إليهَا وتَسَلَّقَ السطحَ ، ثُمَّ ألقَى بالجُثةِ في دَاخِلِهَا وأَسْرَعَ إلىَ بَابِ بَيتِ الوقيدِ (القَمِّيم) ووقفَ رافعاً مِجْرَفَتَهُ يقولُ في نفسِهِ ، اخْرُجِ الآنَ أيُّهَا اللَّعِين !

وفي هذه الأثناء كَانَ الوَقَّادُ قَدِ انتهى مِنْ عَمَلِهِ ، وَمَا كَادَ يُطِلُّ برأسِهِ خَارجاً حتَّى صَاحَ بِهِ (مَنصُورُ): إنكَ لَنْ تَعُودَ إلى البيتِ هذه المرَّةِ ، ثم ضَرَبَهُ بالمِجْرَفَةِ على أمِّ رأسِهِ ، وحَمَلَهُ فألقَاهُ في المِدْخَنَةِ ، وعَادَ مُسرِعاً إلى البَاب وهُوَ يقولُ ، هيَّا ، اخْرُجِ الآن وَعُدْ إلىَ البَيْتِ لنرى إذا كانَ لكَ بَعضُ الجُرأَة .

لبثَ (منصور) مُنْتَظِراً بُرهةً ، فلمَّا قَطَعَ الأَمَلَ مِن خُروجِ ضَحيَّتِهِ ، قَصفَ راجعاً إلى بَيْت مَوْلاَهُ وَوَجْهُهُ يَطْفَحُ بِشْراً . ولَدَى وصُولِهِ استَقْبَلَهُ (مرزوق) وزوجتُهُ ، وَأكْرَمَاهُ ، ثُمَّ نَقَدَهُ سَيِّدُهُ مَبلَغاً كبيراً مِنَ المال ، وَقَالَ : إن صاحِبَكَ لم يَعُدْ هَذِهِ المرَّةَ فماذَا فَعَلْتَ بِهِ يا منصور ؟!

وهُنَا قصَّ عَلَيْهِمَا كُلَّ مَا فَعَلَهُ ، فَجَمدَ الزَّوجَانِ ، وراحَ كُلٌّ منهما يَنْظُرُ إلىَ الآخرِ ، وبَعْدَ أَنْ خَرجَ (منصور) ، . . .

قال مرزوق :

أَرأَيتِ يا لَيْلىَ ؟ لَقَدْ أَصبحَ عَدَدُ الضَّحَايَا أربعًا الآنَ فما العمل ؟

قالت : لَسْتُ أدرِي يا (مرزوق) إنَّ هَذَا الحادِثَ قَدْ شَلَّ تَفكيري فَلاَ أَدرِي مَاذَا أَقُولُ ، سِوَى أَنَّهُ مِنْ إرادَةِ اللهِ .

قال (مرزوق) : إن كنتِ لاَ تدرِينَ ، فأَنَا أَدرِي . .

ثم حَمَل الجِرابَ بنَفْسِهِ إلى (دار العميان) وقال للقَيِّمِينَ عليهَا :

أَرجُو أَن تَقبَلُوا مِنِّي هذا المَبْلَغَ المُتَواضِعَ ، إيفاءً لِنَذرٍ نَذَرْتُهُ ، ولَكم مِنِّي مِثْلُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ إنْ شَاءَ اللهُ .

تحقيق وتنفيذ
مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر
ساقية الجنزير - شارع الوحدة الوطنية - هاتف ٨١٤٩٨٤/٨١٤٩٨٨/٨١٣٩٣٠
بيروت - لبنان - ص.ب ١٣٣٥٧٨



طرائف القصص
يصدر منها :
١ - مارد الغابة السّوداء
٢ - الببغاء الذكيّة
٣ - العميان الثلاثة
٤ - بطل الأبطال
٥ - ملك الثعالب
دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع
الثمن : ٣٥٠ ق.ل.